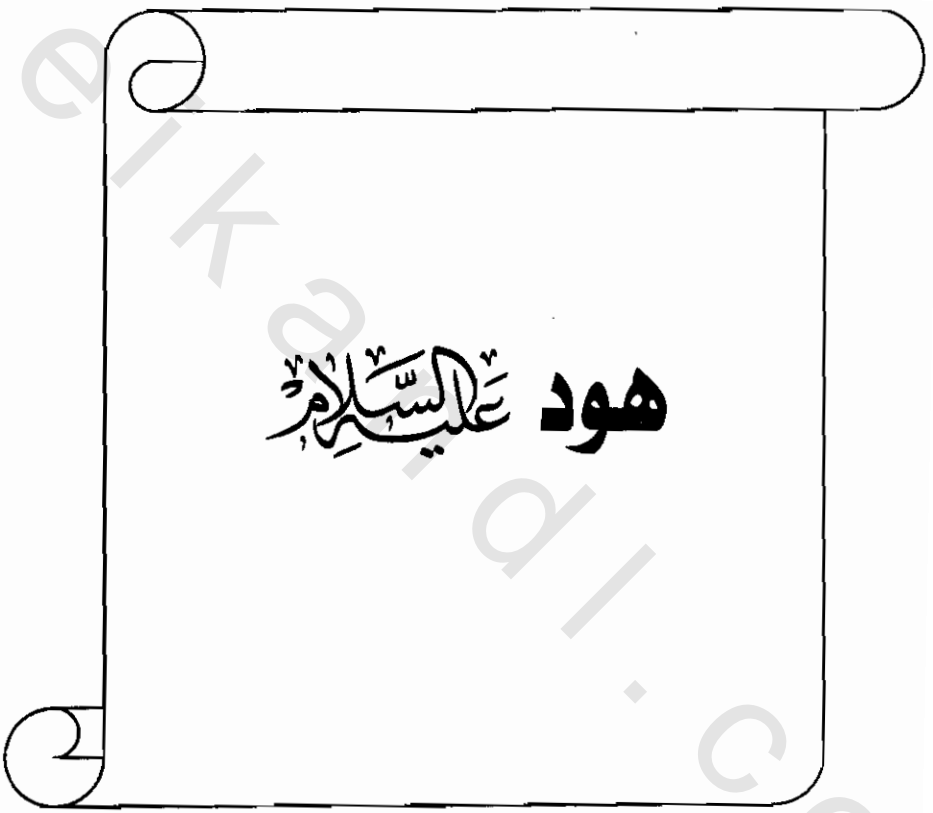

obeikandl.com

obeikandl.com

هـود عليه السلام

هو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام.

وهود عليه السلام هو حفيد سام بن نوح، ومن نبوة نوح إلى نبوة هود، لم يبعث الله أنبياء.

وقد أرسل الله سبحانه هود؛ ليدعو قوم عاد إلى عبادة الواحد الحق، حيث كانوا يعبدون الأصنام.

وقوم عاد كانوا يسكنون الأحقاف ـ وهي جبال الرمل ـ وكانت باليمن بين عُمان وحضرموت، بأرض مطلة على البحر، يقال له الشجرة، واسم واديهم: مغيث.

مساكن عاد وآلهتهم:

كانوا كثيراً ما يسكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾ [الفجر: ٨ ـ ٩][1].

وقوم عاد هم أول من عبدوا الأصنام بعد الطوفان، وكانت أصنامهم ثلاثة: حمداً وصموداً وهرا، فبعث الله فيهم أخاهم هوداً عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وترك عبادة الأوثان.

---

(١) «تفسير ابن كثير»، ابن كثير. (بتصرف).

هود عليه السلام يدعو قومه:

دعا هود عليه السلام قومه إلى توحيد الله، وكانوا يعبدون الأوثان، ثم ذكَّرهم بنعم الله عليهم، وكيف أنه زادهم في الخلق بسطة، فمنحهم القوة الجسدية التي لا تمنح لأحد غيرهم، وجعلهم خلفاء من بعد نوح عليه السلام، وبوَّأهم الأرض التي تدر عليهم الخير وتخرج لهم الزرع الذي يعيشون منه.

قال تعالى: ﴿۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف: ٢١].

وظل هود عليه السلام يدعو قومه محاولاً إقناعهم بالرجوع إلى طريق الحق، وينهاهم عن الشرك والتجبُّر على العباد.

قال تعالى: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأعراف: ٦٩].

وأخبر هود عليه السلام قومه أن الأصنام التي يعبدونها هم الذين أعطوها أسماءها، وليس فيها معنى من معاني الألوهية، وأنه من عملهم وصنع أيديهم، فهي لم تخلقهم، ولا تملك لهم نفعاً ولا ضرًّا، وأنها لا حجة لهم في القول بأن هذه الأصنام عبدها آباؤهم، فليس من العقل في شيء أن يتبع الإنسان أباه إذا كان أبوه في ضلال وكان كافراً مشركاً.

قال تعالى: على لسان هود عليه السلام: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ

سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: ٧١]، ووعدهم عليه السلام بالخير الكثير، وأن الله سيرسل عليهم من السماء الماء مدراراً إن تابوا واستغفروا، فقال: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢]، وبيَّن هود عليه السلام في دعوته حقيقة الموت والبعث، فأخبر قومه أن الموت ليس هو نهاية أمرهم، بل إنهم سوف يبعثون بعد الموت، وأنهم سوف يخرجون من قبورهم ويعودون إلى الحياة مرة أخرى، يخلقهم من جديد، كما خُلقوا أول مرة، ويحاسبون حسب أعمالهم التي ماتوا عليها، وأن هذا سيكون في اليوم الآخر الذي لا يوم بعده، وهو يوم الخلود، ولكن قوم عاد جحدوا وردُّوا قائلين: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المؤمنون: ٢٣ ـ ٣٨][1].

موقف قومه من دعوته:

قابل الملأ من قومه، وهم الأشراف والسادة، دعوة هود عليه السلام بالإنكار والجحود، ورموه بالكذب والضلال والجنون.

وقالوا له: إنك لم تأتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركي عبادة آلهتنا، وما نحن لك بمصدقين.

---

(١) «تاريخ الأنبياء والرسل»، محمد وصفي. (بتصرف).

بل لقد بلغ من كفرهم أن رجلاً منهم اسمه (حَمّار) مات له أولاد فكفر كفراً عظيماً وتمادى في غيّه وضلاله، فلا يمر عليه أحد بأرضه إلا دعاه إلى الكفر، فإن أجاب إلى الكفر تركه وإن امتنع عن الكفر قتله[١].

ثم إن عاداً ضجروا بما يدعوهم إليه هود عليه السلام ونفروا من كثرة نصحه لهم، ولم يتركوا عبادة آلهتهم ليعبدوا الله وحده، بل تحدُّوه أن ينفذ فيهم وعيده وأن يقع عليهم العذاب والغضب من الله.

فأجابهم هود عليه السلام قائلاً: أُشهد الله على صدق ما أقول، وأشهدكم أني بريء من آلهتكم وأوثانكم.

ثم قال لهم: لابد أن يقع عليكم غضب الله، فانتظروا عذابه، إني معكم من المنتظرين.

قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأعراف: ٧٠، ٧١].

هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين:

لجأ هود عليه السلام إلى ربه طالباً نصره وعونه قائلاً: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾﴾ [المؤمنون: ٣٩].

---

(١) «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، جواد علي.

فاستجاب الله عز وجل دعاءه وقال: ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [المؤمنون: ٤٠].

وكان هذا إنذاراً عاجلاً من القوي العزيز بأنَّ العذاب الذي لم يتوقعوه وطالما استعجلوه قد قرب، وأنه بما أعدّه لهم من شر وبلاء يرونه رأي العين، فيندمون حين لا ينفع الندم، ولا يملكون كشف الضر عنهم(١).

ثم جاء الوعد الحق، وكان أول ما ابتدأهم من العذاب أن مُنع عنهم المطر ثلاثة أعوام؛ حتى أجهدهم الأمر وأصيبوا بقحط شديد.

وكانوا يتطلعون إلى السماء كل صباح ومساء آملين أن ينزل عليهم المطر ولكن دون جدوى، فأسرع جماعة منهم إلى الكعبة على رأسهم رجل اسمه (القيس) ورجل اسمه (مرصد بن سعد)، وكان لهم أخوال يحكمون مكة من العماليق أولاد (عمليق بن لاوث بن سام بن نوح).

فنزلوا عندهم فأكرموا وفادتهم وجاءوا لهم بالطعام والشراب ومجالس الطرب.

وظلوا شهراً يأكلون ويشربون دون أن يذهبوا إلى الكعبة، وتعجَّب (معاوية بن بكر) كبير العماليق من حالهم، وقال في نفسه: هؤلاء الجماعة جاءوا لينقذوا قومهم من الجدب والقحط، ولكنهم نسوا ما جاءوا من أجله ولم يذهبوا إلى الكعبة، وفكَّر معاوية بن بكر كيف يلفت انتباههم لكي يذهبوا إلى الكعبة، وفي نفس الوقت لا يشعرهم أنه ضاق بهم ذرعاً.

---

(١) «تاريخ الأنبياء»، محمد الطيب النجار. (بتصرف).

فكتب شعراً وأمر مغنيتين من عنده أن تغنيهم به، فقال:

ألا يـــا قيـــل ويحـــك قـــم فهينـــم
لعـــل الله يصبحنـــا غمـــامـــاً
فيسقـــي قـــوم عـــاد إن عـــادا
قـــد أمســـوا لا يبينـــون الكـــلامـــا

ثم أكمل الأبيات بأن قوم عاد أصابهم الجدب حتى فقدوا القدرة على الكلام، فظلت المغنيتان ترددان هذه الأبيات حتى تنبّه القوم لما جاءوا له فانطلقوا إلى الكعبة وجلسوا يبتهلون ويدعون أن ينزل المطر على أرض عاد.

فسمعوا هاتفاً يقول: اختر لقومك... هناك سحابة سوداء وسحابة حمراء وسحابة بيضاء، فأي سحابة تريدونها أن تذهب لقومكم؟ فاختاروا الصحابة السوداء اعتقاداً منهم أنها مادامت سوداء داكنة فلابد أن تكون مليئة بالمطر.

وعادوا إلى قومهم وأخبروهم بما حدث، واختيارهم للسحابة السوداء، فلمَّا رأوا السحابة السوداء قادمة عليهم استبشروا وقالوا: جاءنا المطر، وفي ذلك يقول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤].

حينئذٍ رَدَّ الله سبحانه وتعالى عليهم: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأحقاف: ٢٤، ٢٥][1].

---

(١) «قصص الأنبياء»، الشعراوي. (بتصرف).

قد سلَّط الله عليهم ريحاً عاصفة تتابعت سبع ليالٍ وثمانية أيامٍ فلم تبق منهم أحداً، بل تتبعتهم الرياح حتى كانت تدخل عليهم كهوف الجبال فتخرجهم من مكانهم وتهلكهم، وكانت تدمر عليهم بيوتهم المشيدة، فهلكوا جميعاً وتناثرت جثثهم على الأرض، فلم يبق منهم أحداً، وعن حالهم يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ [الحاقة: ٦ ـ ٨].

أما هود والذين آمنوا معه، فإنه سمع عليه السلام حين رأى السحاب هاتفاً يقول له: اخرج من هذا المكان فهذا السحاب فيه العذاب.

فأخذ جماعة المؤمنين وانطلق إلى مكة وعاش هناك إلى أن لقي الله عز وجل.

ونجَّى الله هوداً ومن معه من المؤمنين، ونصرهم في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

* * *